**مادة النظم الإسلامية النظام الاجتماعي**

## مفهومه وأهميته وأسسه

### مفهوم النظام الاجتماعي

يقصد بالنظام الاجتماعي في الإسلام: مجموعة الأحكام الشرعية التي شرعها الإسلام لتنظيم علاقة الفرد بغيره: مسلما كان أو غير مسلم، فردا كان أو جماعة، وكذلك الأحكام الشرعية المتعلقة بعلاقة الرجل بالمرأة، وما يتفرع عن هذه العلاقة وما ينشأ عنها من أمور، من الخِطْبة والزواج والطلاق، وحسن العشرة بين الزوجين ونحو ذلك.

والنظام الاجتماعي في البلاد الإسلامية معناه النظام الإسلامي، لأن الإسلام يحكم حركات المسلم وسكناته، وأفعاله وأقواله، ومعاملاته وتصرفاته، وصلاته بالأقرباء والغرباء، والأعداء والأصدقاء، ويرسم له أخلاقه ومنهاجه في الحياة، ولأن الإسلام يقيم المجتمع كله على أسس إسلامية بحتة في الحكم والإدارة والسياسة وفي العلوم والفنون والآداب، وفي الاجتماع والاقتصاد وتوزيع الثروات وفي الحرب والسلم، وفي الداخل والخارج، وعلى هذا فالنظام الإسلامي هو النظام الاجتماعي، لأي مجتمع إسلامي.

### أهمية النظام الاجتماعي الاسلامي

إن الإنسان عاجز تماما عن اكتشاف نظام كلي، يصلح لإقامة نظامه الاجتماعي عليه، بحيث لا يصادم الفطرة، ولا يتضارب مع ما خُلق له الإنسان من مهمة العبودية لله وإعمار الكون، إضافة إلى دقة القوانين والموازين التي تصلح لتنظيم العلاقات الإنسانية، وغموض وصعوبة اكتشاف هذه القوانين.

ومن المسائل المهمة في حياة المجتمعات، والأكثر خطورة وتعقيدا مسألتان هما:

١- علاقة الفرد بغيره، وعلى أي وجه تكون هذا العلاقة، علاقة صراع وخصومة وتنازع، أم علاقة تعاون وتكافل وتواد وإيثار؟، فالخلل في هذه العلاقة جعل الإنسانية تذوق مرارته، كما نرى في فردية المجتمع الرأسمالي، والجماعية البغيضة في النظام الاشتراكي، الذي ويسحق شخصية الإنسان، ويدمر ذاتيته، هنا نجد الإسلام قد أقام توجيهاته وشرائعه وهداياته على أساس التوازن الفذ بين الفرد والغير، خاصة المجتمع، فالنزعة الفردية والجماعية أصليتان في فطرة الإنسان، ومتساندتان ومتكاملتان.

٢- أما المسألة الثانية فهي: الصلة بين الرجل والمرأة، وكيفية تنظيمها وضبطها، وهذه المسألة مهمة، وهي أشبه بالروح لحياة المجتمع؛ لأن الانحراف في تنظيم وفهم هذه الصلة دمار للحياة، وانهيار للخلق، وتصدع في العلاقات الاجتماعية،... إلخ.

والمتتبع لمسيرة التاريخ البشري يدرك خطورة تأثير وضبط وتنظيم أو تفلت وتذبذب هذه الصلة في انحطاط الأمم أو رقيها، وسعادتها أو شقائها، كما أن المتتبع لحياة الغرب وما تثبته الوقائع والإحصاءات والقضايا المتعلقة بصلة الرجل بالمرأة، يدرك ما سبق، فارتفاع نسبة الطلاق، وانخفاض نسبة الزواج، وانحراف الشباب والمراهقين، وشيوع الجريمة فيهم، والاختلاط الجنسي الفاسد، وما تجره من مصائب،... إلخ، كل ذلك يثبت أهمية تنظيم هذه العلاقة لإسعاد البشر.

**أسس النظام الاجتماعي الإسلامي**

يقوم النظام الاجتماعي في البلاد الإسلامية على أسس إسلامية بحتة، ويصطبغ في كل مظاهره بصبغة الإسلام، والإسلام هو النظام الذي اختاره الله للبشر ليقيموا حياتهم عليه، وليحييهم به حياة طيبة، وليسعدهم به في الدنيا والآخرة. وأهم أسس النظام الاجتماعي الإسلامي هي:

**١- المساواة التامة بين البشر:**

يقيم الإسلام المجتمعات الإسلامية على قاعدة المساواة التامة بين البشر، ويقرر المساواة على إطلاقها، فلا قيود ولا استثناءات، وإنما مساواة تامة بين الأفراد، ومساواة تامة بين الجماعات، ومساواة تامة بين الأجناس، ومساواة تامة بين الحاكمين والمحكومين، لا فضل لرجل على رجل، ولا لأبيض على أسود، ولا لعربي على أعجمي، وذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}.

فالناس جميعًا متساوون على اختلاف شعوبهم وقبائلهم، متساوون في الحقوق، متساوون في الواجبات، متساوون في المسؤوليات، وهم في ذلك كأسنان المشط لا تزيد سن عن سن، ولا تنقص سن عن سن، أو هم في ذلك كأبناء الرجل الواحد والمرأة الواحدة، ترشحهم وحدة أصلهم إلى المساواة في حقوقهم وواجباتهم ومسؤولياتهم، والتقوى هي وحدها نِصاب التفاضل بين الناس في الإسلام، ولكنه تفاضل في حدود معينة، تفاضل بين الناس عند ربهم فقط، فأكرمهم عند الله أتقاهم.

**٢- العدالة المطلقة:**

ان الإسلام يقيم المجتمع على العدالة المطلقة المجردة عن القيود، العدالة التي تتسع للأصدقاء والأعداء، ولا تفرق بين الأقرباء والغرباء، العدالة التي لا تعرف الميل والمحاباة، ولا تنكمش عن ذوي النفوذ والجاه، العدالة التي تعطي الحق لصاحبه لأنه محق، وتأخذ الحق من المبطل لأنه مبطل، العدالة التي تعتبر الضعيف صاحب الحق قويا بحقه حتى ترد له حقه، وتعتبر القوي غاصب الحق ضعيفا حتى تسترد منه حق غيره. العدالة التي أمر الله بها ووصفها في قوله سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ}.

**٣ – الحرية في أوسع معانيها:**

يقيم الإسلام المجتمع على أساس الحرية في أوسع معانيها، وأروع مظاهرها، فحرية الاعتقاد، وحرية التفكير، وحرية القول، كل ذلك وغيره يقرره الإسلام ويجعله عمدًا للمجتمع الإسلامي، وَأُسُسًا لحياة الأمة الإسلامية، فيقرر حرية الاعتقاد، ويجعل لكل إنسان أن يعتنق من العقائد ما شاء، وليس لأحد أن يحمله على ترك عقيدته، أو اعتناق عقيدة غيرها، ولو كانت هذه هي العقيدة الإسلامية، وذلك ظاهر من قوله تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}، وقوله: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}.

ثم يؤكد الإسلام على حرية الفكر، ويحث الناس على التفكير في كل شيء، ولقد قامت الدعوة الإسلامية نفسها على أساس العقل والتفكير، واعتمد القرآن في اجتذاب الناس للإسلام على استثارة تفكيرهم، وإيقاظ عقولهم، ودعوتهم إلى التفكير في خلق السماوات والأرض، وفي خلق أنفسهم، وإلى التفكير فيما حولهم مما تقع عليه أبصارهم، أو تسمعه آذانهم، ليصلوا من وراء ذلك كله إلى معرفة الخالق، وليستطيعوا أن يميزوا بين الحق والباطل.

ويعيب القرآن على الناس أن يلغوا عقولهم، ويعطلوا تفكيرهم، ويتمسكوا بالعادات والتقاليد، ويؤمنوا بالخرافات والأوهام، ويصف من كانوا على هذه الشاكلة بأنهم كالأنعام، بل أضل سبيلاً من الأنعام، لأنهم يتبعون غيرهم دون تفكير، وَلاَ يُحَكِّمُونَ عقولهم فيما يعملون أو يقولون أو يسمعون، واقرأ إن شئت قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ}.

٤ – **الأخوة:**

ويقيم الإسلام المجتمع الإسلامي على أساس متين من الأخوة فيعتبر المسلمين إخوانًا تربط بينهم رابطة الأخوة الإسلامية وتوحد اتجاهاتهم، وتقوي صفوفهم، وتحملهم على التعاون والبر والتراحم، وفي هذا المعنى يقول الله – جَلَّ شَأْنُهُ –: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}.

٥ – **الاتحاد:**

بعد أن أقام الإسلام المجتمع الإسلامي على أساس الأخوة، أوجب على المسلمين الاتحاد والالتفاف حول راية القرآن، وحرم عليهم الفرقة والتنازع، ليكونوا يَدًا واحدة ولسانًا واحدًا، وأوصاهم إذا تنازعوا في شيء أن يردوه إلى الله تعالى، حتى لا يكون هناك سبيل للنزاع والاختلاف، وحتى تظل الوحدة قائمة والصفوف سليمة، وحتى لا يكون للأهواء والأغراض منفذ، وذلك قوله جَلَّ شَأْنُهُ: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا }** وقوله: **{وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}**.

٦– **التعاون:**

ويقيم الإسلام المجتمع بعد ذلك على التعاون، التعاون على الخير والبر، واتقاء المحارم، ومحاربة المنكرات والمفاسد، ونبذ الإثم والعدوان، وصيانة بناء المجتمع الإسلامي من كل الأمراض الاجتماعية التي تؤدي بالجماعات إلى التحلل والفناء، وفي ذلك يقول جَلَّ شَأْنُهُ: **{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}**.

**٧ – اتقاء المحارم:**

أكد الإسلام على ان من اساسيات بناء المجتمع اتقاء المحارم، وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم بغير الحق، فليس لمسلم أن يأتي في سره أو علنه فاحشة حرمها الإسلام، وليس له أن يباشر مأثمًا، ولا أن يبغي ما ليس حقه، ولا أن يطلب ما ليس له، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: **{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}.**

**٨ – التحلي بالفضائل:**

يقيم الإسلام المجتمع على الأخلاق الفاضلة، والفضائل الإنسانية العليا، فيوجب الإسلام على المسلمين التخلق بالأخلاق الحسنة، والتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، ليكون المجتمع الإسلامي مجتمعًا فاضلاً مِثَالِيًّا، فإذا دعا المسلم الناس إلى الإسلام فليكن ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، وإذا جادل غيره جادله بالحسنى، {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، وليس للمسلم أن يجهر بالسوء من القول إلا إذا ظُلم، فما لم يظلم فليس له أن يجهر بقولة السوء، وليس للمسلم أن يسخر من أحد أو يلمزه ولا أن يتنابز بالألقاب، وليس لمسلم أن يظن بأخيه المسلم الظنون، ولا أن يأخذه بالظن، ولا أن يتجسس عليه، ولا أن يغتابه، وليس للمسلم أن يتعالى أو يتكبر، وليس للمسلم أن يختال أو يتفاخر، وعلى المسلم أن يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، وأن يأمر بالمعروف ويعرض عن الجاهلين.

**٩ـ تفتيت الثروات:**

يقوم النظام الاجتماعي الإسلامي على تفتيت الثروات وتوزيعها، وللإسلام في ذلك ثلاث وسائل إيجابية:

الأولى: الميراث، وهو يؤدي طبقا للنظام الإسلامي إلى توزيع ثروة الميت بين أبويه وزوجته وأبنائه وأبناء أبنائه، وأحيانا يأخذ عصبة الميت وذوو رحمه بعض ميراثه.

الثانية: ضريبة الزكاة، وهي تقتطع جزءا من رأس المال في كل سنة، لا من الأرباح، ويبلغ هذا الجزء ٢.٥% من رأس المال يؤخذ من الأغنياء ليرد على الفقراء.

الثالثة: حق الحكومات في أن تقتطع من ثروات الأفراد ما يقوم بالمصالح العامة ويقرب بين مستوى الطبقات كما بينا من قبل.

**١٠ – البر والتراحم:**

والإسلام بعد ذلك كله يقيم المجتمع على البر والخير، وعلى التراحم والتعاطف، ويوجب على القوي والضعيف والغني والفقير والقريب والبعيد أن يكون كل منهم بارا بأخيه راحما له عطوفا عليه، وأن يحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه، وأن يعمل كل منهم لخير أخيه ويؤثره على نفسه ما استطاع، وأن يكون كل منهم بارا بوالديه وأهله واصلا لرحمه، والنصوص في ذلك صريحة متعددة منها قوله – جل شأنه –: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير}.

**١١ – الاستمساك بالشورى:**

والإسلام يرد نظام الحكم في الجماعة إلى الشورى لتستطيع الجماعة أن تختار الحكام الصالحين للقيام بأمر الله في الجماعة، ولتستطيع أن تعزلهم كلما عجزوا عن

أداء واجباتهم أو حادوا عن الطريق القويم، كما أن نظام الشورى يحول بين الحكام وبين الاستئثار بشؤون الجماعة، إذ يجعل الجماعة رقيبة على الحكام الذين اختارتهم. وقد جاء الإسلام بنظام الشورى وطبقه المسلمون قبل أن تعرفه الدول الغربية بأحد عشر قرنا على الأقل، وقد فرض هذا النظام بقوله تعالى: {وأمرهم شورى بينهم}.